

مثلث
التوحيد

مكتبة
دار الفکر
بيروت

الأنشودة الأولى

ميلبويوس : أى تيتيروس ، إنك تستلنى فى ظل الشاطىء المتراعى
الأطراف ، وتعزف لحن أغنية الأحراش بمزمار دقيق ، بينما نحن نرحل
عن حدود بلادنا ومروجها العزيرة ، إننا منفيون عن بلادنا ، أما أنت
فتجلس فى خمول بين الظلال تعلم الأحراش كيف تردد صدى الكلمتين
و أما ريلس الجميلة ، .

تيتيروس : اعلم يا ميلبويوس أن أحد الآلهة قد منحنى هذه الراحة ،
ولذلك سيكون عندى دائماً بمثابة الإله ، وسأريق على مذبحه أبدأ دم
حمل صغير من حملان حظائرتنا . لقد أباح لثيرانى أن ترعى كما ترى ،
وأباح لى أن أعزف ما يطيب لى بمزمارى الحشن .

ميلبويوس : لست أحسدك على ذلك ، بل أعجب ، فالفوضى تعم
الحقول كلها من كل صوب إلى درجة عظيمة . أنظر ، فأنا نفسى لا أقوى
على أن أسوق عزائى إلى الأمام ، ولا أستطيع يا تيتيروس ، أن أدفع
هذه العنزة أيضاً . فقد وضعت توأمين فى هذا المسكان بين أشجار البندق
الغليظة ، فكاننا أمل القطيع ، ولكن تركتهما بكل أسف فوق الصخرة
العارية . إنى أذكر أن أشجار البلوط التى صعقتها السماء كثيراً ما تنبئى

بهذا الشر إذا لم تكن قريحتي شاردة ، ولكن خببرني يا تيتيروس ، من هو إلهك هذا ؟

تيتيروس : كنت أعتقد بمهاقتي ، يا ميليبويوس ، أن المدينة التي يسمونها روما تشبه بلادنا التي اعتدنا نحن الرعاة أن نسوق لإلها نسل أغنامنا الهزبل . كما كنت أعلم أن الجراء تشبه الكلاب ، والأطفال الأمهات ، فتموتت بذلك على مقارنة الأشياء الكبيرة بالصغيرة . بيد أن هذه المدينة قد رفعت رأسها عالياً حقيقةً بين المدن الأخرى كما اعتادت أشجار السرو أن تفعل وسط أشجار الصفصاف البضة .

ميليبويوس : وماذا كان هدفك الأكبر من رؤية روما ؟

تيتيروس : إنها الحرية التي رغم مجيئها المتأخر قد وقرت شخصي الكسلان ، ورغم ازدياد بياض لحيتي كلما تخلصت منها ، غير أنها قد مجلتني وجاءت بعد مرور زمن طويل ، بعد أن فازت في أماريلس وهجرتني جالاتيا . إنني أعتزف بأني لم أكن أمل في الحرية في أثناء فوز جالاتيا بي ، ولم أكن أهتم بنقودي المدخرة ، وبالرغم من أن عدة ذبائح قد تركت حظائري ، وقد ضُغَط كثير من الجبن الدم لاجل المدينة ناكرة الجميل ، فإن يمتأى لم تعد مطلقاً ثقيلة بالمال .

ميليبويوس : كنت أدهش يا أماريلس ، لم كنت تنادين الآلهة في حزن ، ولمن تركت التفاحات معلقة في أشجارها ، لقد كان تيتيروس بعيداً . لقد كانت أشجار الصنوبر هذه تناديك يا تيتيروس ، وكذلك هذه النافورات والغابات .

تيتيروس : وماذا كنت أفعل ؟ لم يكن فى استطاعتى أن أهرب من العبودية ، ولم أكن أعرف آلهة رضية هكذا فى أى مكان آخر . أما هنا فقد رأيت ذلك الفتى يا ميليبويوس ، الذى من أجله يتصاعد الدخان من مذابحنا اثنى عشر يوماً كل عام . لقد كان أول من لبس طلبي فى هذا المكان إذ قال وأطعموا ثيرانكم أيها الصبية كسابق عهدكم ، ارعوا ثيرانكم .

ميليبويوس : يالك من شيخ سعيد . إذن فستبقى حقولك ملكاً لك ، وهى تسكفك . وبالرغم من أن الصخر العارى والمستنقعات ذات الأعشاب الموحلة تغطى مروجك كلها ، فلن يضير نعيماتك الجمالى طعام غريب . ولن تؤذيها عذرى خبيثة من قطع مجاور .

ستحظى هنا أيها الشيخ السعيد ، بين الأنهار المعروفة والثافورات المباركة ، بالبرودة بين الظلال . فعلى هذا الجانب ، كما جرت العادة دائماً ، سيحشك إلى النوم ذلك السياج القاتم عند التخيم الذى يجاور أزهار الصفصاف التى يتغذى بها النحل الهيبلى بطنينه الخافت ، وعلى ذلك الجانب سيفتى مهذب الكروم للنسيم تحت الصخرة العالية . ولكن فى نفس الوقت لن يكف الحمام الخشبى الأاجش ، موضع عنايتك ، ولا الأيام ، عن القرقرة من فوق شجرة الدردار الشائخة .

تيتيروس : إذن سرعان ما ستغذى الغزلان الخفيفة فى البحر ، وتلقى البحار بالأسماك عارية فوق الشاطئ . سريعاً سيشرّب البارثيانى من الأرار ، أو الجرمانى من بحيرس . وقد هام كل على وجهه طريداً فى مقاطعة زميله ، ولن يغيب بحياه عن قلبى .

ميليبويوس : أما نحن ، فسيشق بعض منا طريقه من هنا إلى الأفر يقين العطاش ، وسيذهب البعض الآخر إلى سكيثيا وإلى أوكسيس السريع الجريان في كريت ، وإلى بريطانيا المنعزلة عن العالم تماماً .

أى ، هل لي هند ما أرى حدود بلدى بعد زمان طويل ، وسقف كهفي الحقير المغطى بالكلأ ، هل لي يوماً ما عند ما أشاهد مملكتى ، أعجب من بعض السئابل الضئيلة . هل ستؤول هذه الأراضى المحروثة جيداً إلى جندى ظالم ؟ هل سيمتلك هذه المحصولات بربرى ؟ أنظر إلى أى حال أودى الانحلال بالمواطنين البائسين ! هل كنا نزرع حقولنا لهؤلاء الناس ؟

ينبغى عليك الآن ياميليبويوس أن تطعم أشجار الكثرى وتزرع الكروم فى صفوف . هيساعنى ياعزاتى ، يامن كنت يوماً قطيعى السعيد . عنى فلن أراك أبداً راقداً فى الكهف الأخضر وقد تديت بعيداً عن إحدى الصخور المدغلة ، ولن أنشد الأغاني ، كما أنك ياعزاتى ، لن تقرضى البرسيم المزهر أو الصفصاف المرتحمت لإشراقى .

تيتيروس : فى مقدورك أن تستريح معى هنا هذه الليلة فوق الكلأ الأخضر ، فمئدى تفاعات ناضجات ، وأبو فروة ناعم ، وكية كبيرة من الجبن . هاهى ذوابات دور القرية تبعث دخانها الآن من بعيد ، والظلال العظيمة تهبط من الجبال الشاهقة .

الأنشودة الثانية

كان قلب الراعي كوريدون يشتعل حباً بالكسيس الجميلة ، محبوبة سيده ، ولم يكن يعرف ما يصبو إليه ، وكان عزائه الوحيد أن يذهب كل يوم وسط أشجار الزان الغليظة ذات القمم العالية المظلمة وينشد هذه الأغنيات العديمة الفن للتلال والأحراش وقد ألمّ به غرام مبرح :

« أى الكسيس القاسية ، ألا تعيرين أغنيائي اهتماماً ؟ ألا تشفقين علي ؟ إنك سوف تقوديني أخيراً إلى الموت . إن المشاية تراود الآن الظلال الباردة ، حتى العظايا الخضراء تختفي الآن في الأجمات ، وتطنخ ثسائلس للحصادين ، أعشابها من الثوم والسعتر الطعمين اللذين أتلفتهما شدة الحر اللافتح . ولكنني كلما أنعمت النظر في آثار أقدامك ، تطن معي الأجمات التي تلفحها حرارة الشمس المحرقة ، بصوت زير الحصاد الحاد . ألم يكن الأفضل تحمل غضب أماريلس الكتيب وترفعها المحترق ؟ أو مينالكاس ، ولو أنه كان أسود بينما كنت أنا أبيض ؟ أو اه ، أيها الفتى الجميل ، لا تثق كثيراً في لون جلدك ! إن الفاغيا البيضاء تسقط ، أما العيسران الأسود فينتقى !

إنك تزدرينني يا الكسيس ، ولا تسألين من أنا — ولا مبلغ غناي بالمشاية واللبن الذي في بياض الثلج : إن لي ألف حمل تجوس خلال تلال صقلية ولا يعوزني المزيد من اللبن صيفاً أو شتاء .

لأننى أغنى كما اعتاد أن يغنى أمفبون الدركى ، عندما كان ينادى قطمانه
التي ترعى فوق أراكينثوس الأنيكى لتبيت ، كما أننى لست بشع الخلفة
إلى هذا الحد ، فنذ عهد قريب رأيت وجهى فى الماء وأنا على الشاطئ .
وكان البحر هادئاً ساكناً بفضل الرياح ، ولو كنت قاضياً ما خفت
دافنس (١٠٧) ما دامت المرأة (١٠٨) لا تكذب قط !

آه ، أليس لك أن تعيشى معى فى حقولنا الحفيرة وأكوأنا الوضيعة ،
نصيد الغزلان ونسوق قطبع العنزات إلى الحيازى الخضراء . وفى الغابات
ستنافسين بان وأنت برفقتى .

إن بان هو الذى علم الإنسان أن يصنع مزاراً واحداً من عدة
قصبات بالشمع ، لأول مرة . فإنه يهتم بالأغنام ويرعى الأغنام . فلا
تندى إن هيجت شفئك بقصة ، وتعلمت نفس هذا الفن ، فما هو الذى
لم يفعله أمينتاس ؟ إن عندى مزاراً من سبع قصبات من الشوكران غير
متساوية ، هدية منحسبها دامويتاس ذات يوم قاتلاً لى وهو يحتضر . إنها
تمادى بك الآن سيداً ثانياً ، هذا ما قاله دامويتاس ، فدبت الغيرة وقتلت
فى نفس أمينتاس الأحمق . وعلاوة على ذلك فقد وجدت غزالتين فى واد
خطر يذرو البياض جلودهما ، وكانتا ترضعان أضرع نعجة مرتين فى اليوم ،
ولأننى لأحفظ لك بهما . ولقد ترسلت نستيلىس مراراً وتكراراً لتحصل
عليهما منى ، وأظن أنها ستناولها إذ تبدو هداياى حقيرة لك .

تعال ، أيها الصبي الجميل ! أنظر ، هاذى الحوريات تحضرك أفضاصاً
مملوءة بالزنبق ، وتقطف النيساد الجميلة البنفسج الأصفر والحشخاش ،
وتخلط الترجس وحببة البركة الزكية الرائحة ، ثم تفتلها بالقضاء الهندى
وأعشاب أخرى حلوة ، وتنمق العيسران الرقيق بالأفحوان الأصفر

الذهبي ، كل ذلك من أجلك ، وساجع يبدى السفرجل الشاحب بزغبه الرقيق ، وأبا فروة الذى تحبه أماريلس . وسأضيف كذلك البرقوق الشمعى ، إذ ستحظى هذه الفاكهة بجدها أيضاً . وسأقطعك أيضاً يا أغصان الغار ، وأنت يا أغصان أشجار الآس ، يا جاراتهما ستدجان العبير الجميل وى وضعكما هذا .

أى كوريدون ، إنك فظ ! فإن ألكسيس لا تهتم بالهدايا ، ولن يستسلم أيولاس لو باريته بالهدايا . واحسرتاه ، واحسرتاه ، ماهذه الرغبة التى كانت عندى أيها الشقى ؟ أيها الأحمق ، لقد سمحت للريح الجنوبية أن تدخل إلى أزهارى ، وللخنازير أن تلج ينابيع البلورية ! أه ، أيها الأحمق ، ممن تهرب؟ فحتى الآلهة تسكن الأحرش ، وكذا باريس الدرذاني . دع بالاس تقطن بنفسها فى المدن التى شيدتها ، ولكن دع الأحرش تكون غبطنى الرئيسية ! إن البؤة السكثية المنظر تقتنق أثر الذئب ، والذئب العنزة ، والعنزة الجائعة البرسيم المزهرة . أما كوريدون فيتبعك يا ألكسيس . كل ينساق وفق ميله . انظر ، ها هى الثيران تجر المحراث إلى البيت وهو معلق بالنير ، والشمس المرتدة تضاعف الظلال المتطاولة . ولكن الحب مازال يحرق فؤادى ، أليس من حد لهذا الحب؟ آه يا كوريدون ، كوريدون ، أى جنون ألم بك؟ إن كرمك لم يشذب غير نصفها فوق شجرة الدرذار المورقة . بلى ، لم لا تشرع على الأقل فى جدل شىء تتطلبه حاجتك بالأغصان والحلفاء اللدنة؟ ستحظى بألكسيس أخرى إذا احتقرتك هذه !

الأنشودة الثالثة

مينالكاس: خبّسني يا دامويتاس، قطيع من هذا؟ أهو ليليبويوس؟
دامويتاس: كلا، إنه لايجون وقد تركه في رعايتي أخيراً .

مينالكاس: أيتها الأغنام، أيها القطيع الدائم الشقاء إلى الأبد، بينما
يشملق صاحبك نيراس مخافة أن تفصلك عليه، يحاب هذا الحارس
الآكارى الأغنام مرتين في الساعة، وبدا يسرق ماء الحياة من القطيع،
واللبن من الحملان .

دامويتاس: لا تنسى ألا تقذف بمثل هذه السباب قوماً أكثر تدبيراً .

مينالكاس: أظن عند ما رأوني أقطع أشجار وكروم سيكون الحديثه
النبت بمنجل شري .

دامويتاس: أو هنا بجانب الشاطئ العتيق عند ما حطمت قوس
وسهام دافنس، لقد حزنتما يا مينالكاس المتورد، عند ما أبصرتما
هذه الأشياء تعطى للصبي، وكذت توت لأن لم تلحق به أي أذى
بأى سبيل .

مينالكاس: وماذا يستطيع أن يفعل أصحاب الأملاك وقد بلغ
النصوص شأواً عظيماً من الجرأة؟ ألم أرك يا أسوأ الناس طراً تكمن
للسرق عزة دامون وقد نبج لي كسكنا نباحاً عالياً، وعند ما صرخت
منذراً قائلاً: إلى أين يجرى ذلك الرجل؟، واجمع قطيعك يا تيتيروس،
اختبأ وراء الحماشاه .

دامويتاس : ماذا تقول ، ألا يجب عليه ، وقد غلبته في العزف أن يعطيني العزوة التي ربحها مزمارى بألحانه ؟ يجوز أنك لا تعرف ذلك ، ولكن تلك العزوة من حق ، وقد تنازل عنها لي دامون نفسه ، ولكنه قال إنه لا يمكنه أن يسلمني إياها .

مينالكاس : هل تفوقت عليه في الغناء ؟ أو هل كان لك يوماً ما قصة موصولة بالشمع ؟ ألم تكن عادتك أيها الأحمق أن تفسد أغنيتك الحقيمة بقشك الناعقة عند ملتقى الطرق ؟

دامويتاس : أتريد إذن أن يجرب كلانا ما يستطيع لإنشاده ؟ سأراهن بهذه البقرة كيلا ترفض ، إنها تحلب مرتين وترضع عجلتين صغيرتين . خبرني بماذا تراهن على منافستي ؟

مينالكاس : لا أستطيع المراهنة برأس من القطيع ، ففي البيت والد وزوجة أب قاسية يعدان القطيع مرتين في اليوم وبعد أحدهما الجداء كذلك ، ولكنه طالما أنه يطيب لك أن تكون مخبولاً ، فسأراهن بما ستعرف أنت أنه شيء أعظم بكثير ، سأراهن بكأسين من خشب الشاطئ ، من صنع الكيميدون المقدس ، منقوش عليهما كرامة لدنة مطروحة بمخرطة ماهرة تكسو العناقيد المبعثرة بجانب اللبلاب الأصفر . وفي الوسط صورتا كانون و . . . من كان الآخر ؟ الذي عين للناس بعصاه السموات برمتها وماهى فصول الحاصد والحارث والمعروف الظهر ؟ لم تمتد شفتي لإيها حتى الآن ولكنني أحفظ بهما .

دامويتاس : لقد صنع لي الكيميدون هذا ، كأسين أيضاً وأحاط مقبضيهما بالكسندر الناعم ، ووضع أورفيرس في الوسط تتبعه الأحرار .

لم أستعملهما بعد ولكنني أدخرهما . ولو نظرت إلى بقرتي ما كان هناك حاجة لتمدح الكؤوس .

مينالكاس : لن تنجو مني اليوم أبداً ، سأحضر إلى حيث تنادي ، ولكن دعه فقط يصغي إلى هذا . صه . ها هو ذا بالايون ، إنه قادم إلينا ، سأبذل كل جهدي وسوف أجعلك لا تتحدى أحداً بعد اليوم بصوتك هذا .

دامويتاس : إذن هيّا ، إن كان عندك شيء . فلن أحجم . إنني لا أهرب من أحد . فقط ، عليك أيها الجار بالايون ، أن تهتم بالأمر وتعيّره أشد عنايتك ، فإنه غاية في الأهمية .

بالايون : انشدا ، مادمننا نجلس سويا فوق الكلا الناعم . فإن الحقول كلها والأشجار جميعها تحمل البراعم الآن ، والأحراش مورقة ، والفصل من أجل ما يكون الآن .

ابدأ يا دامويتاس وأنت من بعده يا مينالكاس ، ستشندان بالتبادل فإن ربات الغناء يجب أن أغاني التبادل .

دامويتاس : سأبدأ بجوپيتري يا ربات الغناء ، فكل شيء زاخر بجوپيتري ، إنه يرعى الأرض ويهتم بأغنياتي .

مينالكاس : أما أنا فيجبني فيبوس ، إن فيبوس يجد هداياه دائماً معي ، من الغار والكشكر الجميل الأحمر .

دامويتاس : تقذفني جالاتيا بتفاحة ، فياها من مشاكسة ، ثم تجرى نحو الصفصاف وتود أن تُرى أولاً .

مينالكاس : ولكن حبيّ أميناس يقدم لى نفسه عن طيب خاطر ،
حتى أن كلابى لم تعد تعرف دياليا .

دامويتاس : لقد وجدت هدايا لحبي ، لقد لاحظت بنفسى المكان
الذى بنت فيه اليمامات عشمها عالياً فى الفضاء .

مينالكاس : لقد فعلت ما أقدر عليه ، فأرسلت إلى فتاى عشر
تفاحات عسجدية قطفت من إحدى أشجار الغابة ، وبأكرأ سأرسل
إليه بعشر آخر .

دامويتاس : أى ، لكم كلمتى جالانيا ، وبأى كلمات تحدثت إلى ،
احملى بعضاً منها أيتها الرياح العوالى إلى آذان الآلهة .

مينالكاس : وما فائدة أنك لا تنبذنى شخصياً فى قلبك يا أميناس ،
إذا كنت عندما تصيد الخنازير ، أحرس أنا الشباك .

دامويتاس : ارسل إلى فياسس ، يا أبولاس ، فهذا يوم ميلادى ،
ومتى قدمت عجلأ ذبيحة للمحاصيل ، تعال إذن بنفسك .

مينالكاس : أحب فياس أكثر من غيرها ، لأنها بكت عند رحيلى
وانطلقت تقول بيطى . وداعاً أيتها الفتى الجميل ، وداعاً يا أبولاس .

دامويتاس : إن الذئب شر على الحظائر ، والأمطار على الفاكهة
الناضجة ، والرياح على الأشجار ، وغضب أماريلس على .

مينالكاس : إن الرطوبة مفيدة للجبوب ، وأشجار التوت للجداء
المفظومة ، والصفصاف اللدن للقطيع الحامل وأميناس وحده لى .

دامويتاس : إن بوليو يجب شعري رغم خشوته ، فيارات الشعر
البهيريات أطعمن عجلاً لأجل قارثكن .

مينالكاس : إن بوليو نفسه يصنع أغنيات جديدة ، أطعمن ثوراً
ينطح بقرنيه ويبعثر الرمال بحوافره .

دامويتاس : ليت من يحبك يا بوليو ، يصل إلى ما سره أنك قد وصلت
إليه أيضاً ، تربة تخرج لبناً وعسلاً ، وليت الدغل الشائك يحمل بلسماً .

مينالكاس : ليت من لا يمقت بافيوس ، يجب أغنيتهك يا مافيوس
وليته كذلك يضع الثير على أعناق الثعالب ، وليته يحلب الثيوس .

دامويتاس : أيها الصبيان ، أتم يا من تقطفون الأزهار والتوت
النامي فوق الأرض ، اهربوا من هنا فالثعبان البارد محتبي في الكلاء .

مينالكاس : لا تنهبي الأغنام بعيداً جداً ، فلا خير في الثقة
بالشاطيء . إن الكبيش نفسه يحفف جزته .

دامويتاس : يا نيتيروس ، ابعد أغنامك التي ترعى ، بعيداً عن النهر
فسأغسلها جميعها في النبع بنفسى عندما يحين الوقت .

مينالكاس : اجمعوا شتات أغنامكم أيها الغلمان ، إذ لو وصل اللظى
إلى اللين كما حدث أخيراً ، فلا فائدة من أن نعصر الضروع بأيادنا .

دامويتاس : واأسفاه ، واأسفاه ، ما أشد تحول ثوري في الجبال
النزير ، والحب عينه هو خراب التطيع وسيده .

مينالكاس : أما عن هؤلاء ، فطابعاً ليس الحب هو السبب ، فهي
تكاد تكون جلد أعلى عظم . إن عيناً شريرة قد حسدت حملاني الصغار .

دامو بتاس : لو أخبرتنى أين تمتد السماء أكثر من ثلاثة أذرع ،
جعلتك عندي بمثابة أبولو العظيم .
ميثالكاس : لو أخبرتنى أين تنمو الأزهار المكتوب عليها أسماء
الملوك أمكنك أن تحتفظ بفيلس لنفسك .
بالايمون : لست أنا الذى سيفصل بينكما فى مثل هذه المنافسة العظيمة .
أنت تستحق البقرة كما يستحقها هو أيضاً ، وكل من سيهاب حلوة الحب
أو يذوق مرارته ، أغلقا القنوات الآن يا هذان الصبيان فإن المروج قد
أُرْوَت بما فيه الكفاية .

الأنشودة الرابعة

هيا يا ربات الشعر الصقليات (١٠٩) نثند أغنية أكثر سمواً . إن الغابات والأثل الرضيع لا أسر الجميع . فإذا ما ترغنا بالغابات ، فلتكن الغابات تليق بقنصل .

إن عصر الأغنية الكيمونية الأخير قد أتى .
لقد وُلد من جديد نظام عظيم من الأجيال .

إن العذراء (١١٠) تعود الآن ، ويرجع حكم ساتورن (١١١) ، ويهبط جبل جديد الآن من السماء العالية . رفقاً بالصبي عنده ولده يالوكينا (١١٢) الطاهرة ، إذ بهجته سينمحي العصر الحديدي ويشرق العصر الذهبي على ربوع العالم بأسره . إنه أبولو الذي يحكم الآن ، وفي إبان قنصايك ، حتى هذه ، يابوليو ، سيداً يمجّد هذا العصر ، وستبدأ الشهور العظيمة دوراتها . وستتلاشى بقيادتك جميع معالم جريمتنا ، وستتخاص العالم من خوفاً السرمدي .

ستكون له حياة الآلهة ، وسيرى أبطالاً محتاطين بالآلهة وسيرونه شخصياً بأعينهم ، وسيتولى حكم عالم عاد إلى السلام بحصال أبيه الحميدة . ستخرج لك الأرض يا رلدي باكورة غلتها دون عناء ، ستخرج اللباب الشارد ، وزهر الكفانين والبسلة المنصرية محتاطة بالكفان الباهم . ستعود المنزلات من تلقاء نفسها إلى البيت وأضرعها معلومة بالابن ، ولن تخشى المناشية الأسود الكبيرة ، وستتبع لك المهذذاته أزهاراً ملاطمة ،

وسيفنى الثعبان وكذا العشب السام المخادع . وسينمو الباسم الآشورى
فى كل مكان .

يبد أنه حالما تستطيع أن تقرأ أعمال الأبطال الذائعى الصيت ،
وأفعال أهلك ، وتقدر أن تدرك ماهية الفضيلة ، سيدبو الوادى رويداً ،
رويداً ، أصفر بلون سنابل القمح المتوجة ، وستدلى عناقيد العنب
الحمرء من العوسج البرى وستشج أشجار البلوط الصابة شهداً ندياً .

غير أن بعض آثار جريمتنا القديمة منطل قائمة ، فسوق الناس إلى
عبور تيفيس (١١٣) على ظهر السفن ، وإلى إحاطة المدن بالأسوار (١١٤) ،
وإلى شق الآخايد فى التربة (١١٥) . وسيكون هناك إذن تيفيس (١١٦) آخر
وأرجو أخرى لتحمل الأبطال المختارين . وستكون هناك كذلك حروب
أخرى من جديد ، وأخيل آخر عظيم يُبعث إلى طرودة من جديد .

وعند ما تصل إلى سن الرجولة وتصبح قوياً ، سيهجر التاجر نفسه
البحر ولا تنقل السفينة الصنوبرية الخشب البضائع من مكان إلى مكان
لأن الأرض منتهت كل شىء فى جميع بقاعها .

ولن تعانى التربة آلام أنفاس ، ولن تشمر الكرمة بالمنجل المشذب .
والآن كذلك سيخلص الفلاح القوى اشيران من الثير ، ولن تعلم
الصوف تزييف الألوان المتباينة ، ولكن الكباش ذاته سيغير جزته فى
الحقول ، تارة إلى اللون الأحمر القرمزى الجميل ، وطوراً إلى اللون
الأصفر الزعفرانى ، وسيكسو الزنجفر من تلقاء نفسه الحملان وهى ترعى .
د أسرى أيتها الأجيال المباركة ، هكذا قالت إلى مساو لها ربات
الحظ (١١٧) المنفقات على قدر ثابت مرسوم . د أشرع فى أجماد عظيمة ،

فستحين الساعة قريبا يا عيز نسل الآلهة ، يا سليل جوبيتر العظيم .
أنظر إلى السكون بقية الهامة ، وإلى الأرض وعرض البحر ، إلى
أغوار السماء وكيف تهتز وتترنول ، أنظر كيف تطرب سائر الأبناء
بقدوم الجليل الجديد .

ليت الجزء الأخير من مثل هذه الحياة الطويلة يبقى لي ، وما يكفي
من الوحي لتفص أعمالك عندئذ لن يتفرق شيء في الغناء أوردغوس (١١٨)
الزاقى ، ولا حتى ليشيس (١١٩) . بيد أن الأمم تساعد أحد الأبناء ،
والآب يساعد الآخر . تساء كاليه بيا (١٢٠) أوردغوس ، وأبولو الجميل
يساعد ليموس . كذلك سيترف بان بالهزيمة لو تبارى معى تحت حكم
أركاديا (١٢١) .

ابدأ إذن أيها الفتى الصغير ، أن تتلقى أمك باقتسام . لقد أعيثها
عشرة شهور طوال . ابدأ أيها الفتى الصغير ، يامن يمتسم إليه والداه ولم
يوجهه وب بمنصته ولا ربه بمخدعها .

الأشودة الخامسة

مينالكاس : حيث قد تلاقينا يا موبسوس ، وكلانا من الأختيار
المجيدين ، أنت في المزف على القصبات الرقيقة ، وأنا في إنشاد الأشعار .
فلماذا لا نجلس وسط أشجار الدردار هذه التي تحتاط بأشجار البندق ؟
موبسوس : أنت تسكبرني سنأ يا مينالكاس ، وجدير بأن أحترم
آرامك ، فمن اللائق أن أطلبك ، وسيان عندي لو سرنا في الظلال التي
تغير بإشارة زفيروس ، أو جلسنا بجانب الكهف . أنظر ، كيف كنت
الكرمة البرية الكهف بعماقيدها الشاردة .

مينالكاس : ليس لك منافس بين تلاتنا غير أميناس .
موبسوس : وماذا يضير لو كان يباري فيبوس أيضاً من أجل جائزة
الغناء ؟

مينالكاس : فلتبدأ أولاً يا موبسوس ، إن كان عندك أية أغنيات
عن نيران فيناس ، أو في مدح السكون ، أو في تعبير كوردوس . إبدأ ،
فسيجرح تفتيروس الجدهاء وهي أروعى .

موبسوس : بلى ، سأحاول غناء هذه الأبيات التي نقشتها في ذلك
اليوم على شجرة الزان الخضراء ثم لحنتها وسبقياً معلماً الكلمات والنحن
كذلك ، فهل تأمر أميناس بعدئذ أن يباريني ؟

مينالكاس : إن أميناس يستلم لك بقدر ما يستلم الصفصاف اللدن
للزيتون الشاحب ، وبالقدر الذي تستلم به القصبة السكتية الحقيمة

للفراشة الوردية القرمزية . بلى ، لا تقل شيئاً أكثر من ذلك أيها الصبي ،
لقد سرنا إلى داخل الكهف .

موبسوس : لقد بكّت الحوريات دافنس بعد أن اختطفته يد الموت
السكرية — اشهدى على الحوريات يا أشجار البندق، وأنت أيها الأنهار —
وعند ما أمسكت الأم جسداً ابناً أنسكين صرخت على شدة قسوة الآلهة
والنجوم في تلك الأيام يا دافنس، لم يسق أحد الأبقار التي كانت ترتع
إلى المجاري المنارة، ولم يدق حيران من ذرات الأربع مياها جدرول كما أنه
لم يلمس ورقة من الخشيش. أي دافنس، إن الجبل الموحشة والأحراش
تخبرنا أن الأود الأفريقية قد بكّت على موتك أيضاً .

إن دافنس هو الذي علم الناس استئناس النور الأرمينية تحت وطأة
العربة، ومنزلة رقصات بكوس ولف الأوراق اللينة حول السهام الصلبة.
إنك وحدك تعطي المجد لقومك كما تعطي الكرمه المجد للأشجار، والعنبة
للكروم، والثور للقطيع، والقمح للحقول الخصبة . فذ خطفك ربات
الخط، هجرت يا ليس نفسها حقولنا، وكذلك أبولو . فعالباً في الأحاديث
التي عهدت لآلهما بحبات الشعير الكبيرة، ينمو الزوان العديم الفائدة، وكذلك
عيدان الشوفان العاقرة . فينمو الخسك والشوك الحاد الأسنة بدلاً من
البفسنج الناعم والترجس البراق. انثروا الأوراق في المروج يا أيها الرعاة،
وظللوا الينابيع فإن دافنس يطلب إليكم أن توفوه هذه الأجداد، وانثروا له
قبراً واكتبوا على القبر هذا البيت الشعري. ولقد كنت أنا دافنس معروفاً
بين الأشجار والأحراش، من هذا المكان إلى النجوم. لقد كان جميلاً ذلك
القطيع الذي كنت أحرسه، ولكنني أنا السيد، كنت أكثر جمالاً .
مينا لكاس : إن أغنيك أيها الشاعر المبدع، تقع في نغمى موقع النوم على

الكلاء في نفس من أنهمكة التعب ، وإرواء العطش في حر الصيف الفائظ
من ساقية دائرة بالما . العذب في نفس الظمان . إنك لا تنافس سيدك في المزمار
وحده ، بل وفي الصوت أيضاً . ستكون خليفته الآن أيها الصبي السعيد .
ومع ذلك فسا تشدك بدورى هذه الأغنية التي قد تكون ضعيفة إلا أنني
سأرفعها دافنس إلى النجوم ، سأرفع دافنس إلى النجوم ، فقد أحبنى
دافنس أيضاً .

موريسوس : أى هدية يمكن أن تكون في نظري أعظم من هذه ؟
فليس الغناء نفسه جديراً بأن يستغنى به ، ولكن ستيمبخون قد قرط لي
أغانيك هذه منذ أمد بعيد .

ميتا الكاس . يعجب دافنس بحاله الواضح من عقبة السماء الشاذة ،
ويرى السحب والنجوم تحت أقدمه ، لذلك يحل فرح مشعر على الأحرار
وسائر أنحاء القطر . وعلى بان وأرعاء والمدارى الدرياديات . لا يحبك
الدثب كميئاً للقطع ، ولا تنصب الشباك أخفاخاً للغزلان . فإن دافنس
الحنون يحب السلام ، وتبهت الجبال نفسها مع الأحرار المشجرة
أصواتها في فرح نحو النجوم . إن النجوم نفسها ، وانغابات ذاتها تردد
هذه الأغنية وإنهله ياميتا لكاس ، إنهله . كن غفوراً أرحيماً بنفسك !
انظر ، هاك أربعة مذاج — إثنان لك يادافنس ، وإثنان لفيبوس —
سأقدم لك كل عام كأسين تفيضان باللبن الطازج ، وكندا طاسين ، مؤومين
بزيوت الزيتون الثمين . ولكي أجعل العيد يزخر بالفرح والمرح ، سأهتم
أولاً أن أصب ، في الشتاء . أمام الموقد وصينياً في الظلال ، شراب الخمر
في الحياتي الطازج ، من الكؤوس . وسيعنى لي دامويتاس وأيجون الليكيتيانى ،

وسيحياكى ألفيسيو يوس السانير الراقصة .

« ستكون لك هذه الطقوس إلى الأبد ، عندما تقدم ندورنا السنوية للحدريات ، وعندما نطهر حقولنا . فظالما أن الخنزير يجب قمم الجبال ، والأسماك الأنهار . وظالما أن النحل يتغذى بالسعتر ، وزير الحصاد بالندى ، سيبقى شرفك واسمك وأجدالك . وكما يوفى الفلاحون ندورهم لبعوض وكيريس كل عام ، سبوفون لك أيضاً الندور سنوباً . وستقيدهم أنت أيضاً بنذورهم هذه . »

موبسوس : يربك قل لي ماذا يمكنك أن أقدمه لك من الهدايا لقاء أغنية كهذه ؟ فما من سحر كهذا يحدثه لي حفيف الريح الجنوبية التي تهب بنسيمها العليل ، ولا بلاطم الأمواج على الشاطئ ، ولا خريف المياه في الأنهار التي تنحدر إلى أسفل بين الأودية الصخرية .

مينالكس : سأمنحك هذه القصة اللدنة أولاً ، فقد علمتني ، كوريدن يتمحرق شوقاً من أجل الكسيس الجميلة . وقد علمتني أيضاً ، من مملك القطيع ؟ أيملكه ميلبيو يوس ؟ .

موبسوس : هنالك يا ميناالكس أن تنقبل عصا الراعي التي لم يفز بها أنتيجينيس رغم ظلمها مني مراراً عدة ، وكان يستحق حينئذ تلك الأيام — إنها عدساً حسنة ذات عُنُقٍ وطلقة برنزية .

الأنشودة السادسة

في البدء حسبت ربّات الشجر أنه يابق به أن نلهوا بشعر سيراكوزى ،
ولم نخجل نالياً (١٢٢) من سكنى الأحراش ، وعندما كنت أترجم بذكر
الملك والحروب ، شدّ كينثيس أذنى ، أو هو عزيمة قائلاً ، و تيتيروس ،
للاعى أن يطعم أغنامه المسمينة ، ولكن عليه أن يندم أغنية رقيقة ، .
فأروس ، حيث أنك ستحظى بعدد غير قليل من يرغبون في التغي
بمدحك وتناول الحروب المحزنة ، فمأند الآن أغنية ريفية على
مزمارى الرقيق . فإن لا أغنى بدون استئذان .

بيد أنه إذا ما قرأ هذه الأبيات أيضاً شخص محب ، ستغنى باسمك
بأفأروس (١٢٣) طرفائى ، كما ستغنى الغابه كلها عنك . فلأعز عند فيبوس
من تلك الصفحة اتى تشرّجت باسم فأروس .

هيا أيتها الأخوات البيربات (١٢٤) ، لقد شاهد الولدان حروميس
ومناسياوس ، سيلينوس (١٢٥) راقداً فى كهف وقد انتفخت شرايينه
كالاعتاد بخمر الأمس ، وبجانبه أكاليته وقد سقطت من على رأسه .
وقدح الشراب وقد تدلى من مقبضه العتيق .

عندئذ اقترب منه الصبيان — لأن الشمخ كثيراً ما خدعهما وبخل
عليهما بأغنية ، فقيداه بسلاسل من أكاليته . وقدعت أبجلى وجدعت

نفسها حايفة للولدين الخائفين وساعدتهما . أيحلى (١٢٤) ربة النهر الرائعة .
الجمال ، فلطخت بعصير التوت الأحمر جبين وجهه سيلينوس وكان قد
استيقظ من نومه . فقال ساخوآ من تلك الخيلة : إلى متى تفتلان السلاسل ؟ .
و أطلقا سراحي يا هذان الصبيان ، كفى أكما استطعتهما عمل هذا ،
فاسمعا الآن الأغنيات التي تطلبانها . سيكون جزاءكما الأغنيات ، وسيكون
لها جزاء من نوع آخر .

حينئذ يبدأ الحكيم يعنى ، ولإيم الحق كان يمكنك أن ترى فاووس
والحيوانات المفترسة وهي تلمو وترقص على نغمات الحنة ، وأشجار البلوط
الصلبة تهز رؤوسها طرباً . إن الصخرة البرناسية (١٢٥) لا يطربها فيبوس
كثيراً ، ولا يعجب أورفيوس برودوبي (١٢٦) وإسماروس (١٢٧) كثيراً .
فقد أشد كيف أن العناصر الأولى للأرض والبحر والهواء والماء
الناري (١٢٨) قد جمعت سوياً في الفضاء العظيم ، وكيف نشأت من هذه
العناصر الأولى جميع الأهل ، وكيف تحجرت وتصلبت الأرض
الصغيرة السن في جميع أنحاء العالم . ثم كيف عكفت بعد ذلك على تحجير
السكرة الأرضية وحجز نيربوس (١٢٩) في البحر ، وكيف اتخذت سائر
الأشياء أشكالها وبدأ روبوآ ، وكيف تمجبت الأرض الآن من الشمس
الجديدة التي تشرق عالياً ، وكيف تهطل الأمطار من السحب الشاهقة .
ومتى تبدأ الغابة في الظهور ، والحيوانات النادرة في التجول فوق الجبال
التي لا تعرفها .

ومن ثم سيشير إلى المخور التي أنقمتها يبرها (١٣٠) ، وإلى حكم
ساتورن ، وإلى الطيور الفوقازية وإلى سرقة بروميديوس (١٣١) . أضف

إلى هذا ، الينبوع الذي تُسرك عنده هيلاس (١٣٢) والحجارة تنادى عليه حتى دوسى الشاطئ . من أوله إلى آخره بصدى كلماتهم ، هيلاس ، هيلاس . .

ثم يعزى ياسيفهاى (١٣٣) في جنبها لثور أبيض ، ياسيفهاى السعيدة إن لم توجد القطعان . واحسرتاه أيتها العذراء الشقية ، أى جنون أصابك ؟ لقد ملأت بنات پرويتوس (١٣٤) الحقول بزئيرهن الزائف ، ولكن مع ذلك لم تسع واحدة ممن إلى ارتباط أحق كندا ، في حين أنهن كرتن بختمين على أعناقهن من النير ، وكثيراً ما سمعن لتسكون لهن قرون في جبهتهن تناعمة . وأسناء أيتها العذراء الحقا ، إنك الآن تيممين على وجهك فوق الجبال بينما يرح ذلك الثور جانبه البارد كالتلج فوق الحقل الناعم يرعى الكلاب الأصفر تحت شجرة السندبان القمامة . أو إنه يقتنى أثر إحدى بقرات القطيع الكبير . أغلق أيتها الحوريات ، يا حوريات ديسكى (١٣٥) ، أغلقن سبل الغابة ، فقد أبصرت آثار حوافر الثور الهائم ، مصادفة . ومن يدري ، فربما تسوقه بعض البقرات إلى حظائر جورتيئا (١٣٦) وقد أغراها الكلاب الأخضر أو في إثر القطعان .

ثم يغنى عن العذراء التي أذهلتها نفاحات المسبيريدات (١٣٧) . وبعدئذ تحيط أخوات نايشون (١٣٨) بطحالب مسر اللحاء وتقيمهن من الأرض أشجار حور روى شائخة .

بعد ذلك ينشد كيف قادت إحدى الأخوات (١٣٩) ، جالوس (١٤٠) ،

إلى الجبال الأونية (١٤١) ، وكان قد ضل الطريق بجانب أنهار
برميسوس (١٤٢) ، وكيف نهضت جوقة فييوس (١٤٣) كلها أمام الرجل ،
وكيف خاطبه الراعي ليتوس صاحب اللحن المقدس وقد توج شمسه
بالأزهار والبقدونس المرث قائلا: إن ربات الغناء يمنحك هذه المزامير ،
صه ، خذها فهي المزامير التي منحنا ذات يوم إلى شيخ (١٤٤) أسكرا ،
فاعتاد بغنائه عليها أن يجعل أشجار لسان العصفور تتبعه من أعلى الجبل
إلى أسفله . فلتتغنَّ بهذه المزامير عن مصدر غابة جرينيا (١٤٥) حتى
يتباهى أبولو بهذه الغابة أكثر من غيرها

وإذا سأحدث عن سكيلا (١٤٦) ، ابنة نيدوس (١٤٧) ، التي روت
الأسطورة أنها أزعجت بوحوشها النابحة المتتفة حول خصرها الأبيض
الناصع ، السفن الديسكية (١٤٨) ، ثم مزقت بكلاب بحرها البحارة
المدعورين في دوامة عميقة الغور ، وكيف وصف تغيُّس أعضاء
تير يوس ، وأى الولائم والهدايا أعدتها له نيلوميل (١٤٩) ، وكيف هربت
إلى الصحارى ، وبأى أجنحة حلقت فوق بيتها ، يا لها من تعيسة ؟

لقد تغنى بجميع ما كان ينشده فييوس ذات يوم وسمعت يوروتاس (١٥٠)
السعيدة فأمرت أشجار الغار التي تملكها أن تحفظها عن ظهر قلب ،
عندئذٍ حملت صداها الوديان إلى النجوم العالية ، وظل ينشد حتى أمر
نجم المساء (١٥١) أن تقاد الأغنام إلى حظائرهما ، ويُحسبَ عددها ثم
تقدّم وسط سماء متدمرة .

الأنشودة السابعة

ميليبويوس : حدث بالصدفة أن جيلس دافنس تحت شجرة سفديان
باسقة ، بينما كان كوريدون وثيرسيس يسوقان قنطاريهما سوياً — وكان
مع ثيرسيس خرافه ، ومع كوريدون عزائنه التي تعج أضرعها باللبن —
وكلاهما في ربيع الحياة .

كانا أركاديين ، وقد استعدا للزوال في الغناء ، وكذا في الأخذ والرد .
كنتُ في ذلك المسكان أحى آساقى البضة من الصقيع ، فتخلف تيس
عن القطيع ، وكان سيّد القطيع بأمره ، وإذا في أرى دافنس الذي
ما كاد يبصرني حتى صاح قائلاً : أسرع يا ميليبويوس ، تعال إلى هنا
ولا تخف على عزائك أو جدانك فإنها في أمان ، وإذا كنت تستطيع
التسكّر قليلاً ، فاسترح برّبك تحت الظلال . إلى هنا في هذه المروج
ستسعى غزلائك من تلقاء نفسها للتشرب . هنا يزخرف مينكيرس (١٥٢)
شواطئه الخضراء بالأعشاب الناضرة المتماوجة ، وتزاحم أمراب النمل
التي تدوى في الفضاء بطنينها ، من شجرة البلوط الجوفاء . .

ماذا كان عسايَ أن أفعل ؟ لم يكن معي الكيبي أو فيلس ليراقبا
حملاني المسرّحة حديثاً أثناء سيرها إلى المبيت . وكانت المباراة — مباراة
كوريدون ضد ثيرسيس — مباراةً قوية ، ومع ذلك اهتمت بمباراتهم
قبل عملي فشرع الإثنين يتباريان في أشعار المبادلة ، إذ كانت ربات

الفن يلذ لمن ترديد الأشعار المتبادلة . كان كوريدون يردد هذه ،
وثيرسيس تلك بدوره .

كوريدون : يا حوريات ليثروم (١٥٣) ، يا حبيباتي ، هبني أغنية
كثلك التي وهبتُ بها لكو دروس — إن القصائد التي يصنعها تقارب كثيراً
قصائد فييوس — أو إذا لم يكن في مقدورنا كلنا مثل هذه القوة ، فيستدلى
مزماری المطرب ، ههنا على شجرة الصنوبر المقدسة .

ثيرسيس : يا رعاة أركاديا . توجوا مغنيتكم الناشئة بالعليق كي
تشتمل نار الحقد بين جنيات كودروس ، أما إذا قرظني دون ما استحقاق ،
فتوجوا جبيني بالجرسة خشبية أن يؤذى لسانه الشرير الشاعر المقبل .

كوريدون : إايك ، ياديليا (١٥٤) ، يقدم ليكون رأس هذا الخنزير
الكك الشعر ، وقرون غزالة عمرة متشعبة . فإن بقيت هذه الثروة ،
فستقف بكامل طولك في رغام مصقول يحيط بعقبك إلى فوق أخفاف
أرجوانية .

ثيرسيس : لا تتوقع سنوياً ياريايوس (١٥٥) ، أكثر من قدر من
اللبن وبضع كهذات ، إذ أن الحديقة التي تحرسها فقيرة . إنك الآن
مؤثماً من المرمر ، أما إذا أتى القطيع بإنتاج عظيم من الحلان ، فسنجملك
من الذهب .

كوريدون : جالاتيا ، يا ابنة نيريوس ، يا بمن عندي أحلى من
سعر هيبلا (١٥٦) ، وأنصح بياضاً من البجمات ، وأحب من العليق
الأصفر . إن كنت تكتفين أي حب لكو ريدون ، فتعال عندما تعود
الثيران من المروج إلى حظائرها .

ثيرسيس . بلى ، سأبدو لك من الأعشاب السردونية (١٥٧) ،
وأظلف من الوزال ، وأتفه من عشب البحر المطروح جانباً ، لو أنتى
لأجد هذا اليوم أطول من عام بأكله . هياً إلى البيت ياغزلانى المعلوفة
جيداً ، إلى البيت إن كان عندك أى شعور بالخجل !

كوريدون : يا أيتها الينابيع المعشوشوشة ، ويا أيها الكلاء
الأرق من النوم ، والقَطَّاب الأخضر الذى يحميك بظله الضئيل ،
أبعدوا لظى الظهيرة عن قطيعى . فالآن بأنى لفتح الصيف ، والآن تنتفخ
البراعم على المحلاق البهيج .

ثيرسيس : تملك هنا مرقداً وجماراً حالكى السواد ، هنا تستمر دائماً
نار حسنة وقوائم أبواب سوداء بسناج لا ينفذ أبداً . هنا نهم كثيراً
بهبات بورياس (١٥٨) الباردة كما يهتم الذئب بعدد الخراف أو التيارات
المتدفقة على شواطئها .

كوريدون : هنا تقف أشجار العرعر وأشجار القسطل الكثيفة ،
وقد تناثرت ثمارها هنا وهناك بألوانها المتباينة . إن الطبيعة كلها تبتمس
الآن ، بيد أنه لو تركت ألكسيس الجميلة هذه التلال ، لأبصرت هذه
الأنهار بعينها جافة .

ثيرسيس : لقد يبس الحقل ، وظمأ الكلاء حتى أنه يموت فى الهواء
السام كما حرّم باكموس التلال من ظلال كرومه : غير أنه بجمى . عزيزى
فيلس ، ستكسى الغابة كلها بالخضرة وسيهبط جو بيتربكامل هيبتة فى
رذاذ بهيج .

كوريدون : شجرة الخور عزيزة جداً عند الكيديس ، والكرمة

عند بكهوس . وشجرة الآس عند فينوس الجميلة ، والغار عند فيبوس .
وتحب فياس أشجار البندق ، وطالما أن فيلس تحب هذه الأشجار ، فلا
شجرة الآس ولا شجرة غار فيبوس ستأخذ أشجار البندق .

ثيرسيس : ما أجمل شجر لسان العصفور وسط الأحراش ، والصنوبر
في الحدائق ، والحور بجانب الأنهار ، والشوح فوق قمم الجبال ،
ولكنك لوزرتني باليكيداس الفاتنه ، وف تستسلم لك شجرة لسان
العصفور في الأحراش وكذا شجرة الصنوبر في الحدائق .

ميليبوبوس : إنى أذكر هذا ، وكيف هُزم ثيرسيس ونأضل دون
جدوى . فتمت هذا اليوم ، هو كوريدون ، كوريدون الذى معنا .

الأنشودة الثامنة

إنها أغنية الراعيين دامون وألفيسيو يوس التي أعجبت العجلة بنزاعهما
وقد غابت المروج عن فكرها . وسحرت أغنيهما الوشق ، وجدت مياه
الأنهر المتغير في مجاريها . إنها أغنية رايدون وألفيسيو يوس التي سألتها
يبدأ 4 سورا . كذبت تهم صخور نهرها ف. س (١٥٩) العظيم ، أو تسير
بمحانا ، شاطئ الأنهر . بل يأن ذلك اليوم الذي نستطيع فيه نأروى
أعمالك ؟ ألا يأن ذلك أبداً ؟ أذيع في سائر أنحاء العالم أغانيك
الجدرة وحدها بنمال (١٦٠) سيد فوكيس (١٦١) ؟

تبدأ أغنيتي يا كرك فتنبس هذه الأشجار التي عملت بأمرك . ودع
هذه اللبابة تزحف وسط أغصان الغار الظاهرة المحيطة بجديك .

عندما اختفى ظل الليل البارد من السماء ، وعندما يتلذذ القطيع بالندى
المانسق بالحشيش اللدن ، بدأ دامون يفتي وقد اتكأ على فرع من فروع
الزيتون فقال :

أشرق يا نجم الصباح وتلالاً ، يا من تؤذن بمولد اليوم البهيج . ها أنا
أرسل شكواي وقد تمدعت في حب وخيص ليسا خنطيتي . وبالرغم
من أن الآلهة لم تساعدني أحاط بهم وأنا أحتضر على فراش الموت .

فتبدأ معي يا هنرماري فتشد أغنيات ماينالوس .

إن لماينالوس على الدوام غابات موسيقية وأشجار صنوبرية تتكلم .
إنه يصغى دائماً إلى غراميات الرعاة ، وإلى بان الذي بث الحياة في
الأعشاب الخاملة .

فلتبدأ معي يا زمماری تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .
لقد وهبت نيسالو بسوس ، فما الذي لم تكن تتوقه نحن معشر المحبين؟
وسرعان ما ستزوج الهجمات الخيول ، وتسمى الغزلان المذنورة مع
الكلاب إلى المياه في العصر القادم .

فلتبدأ معي يا زمماری تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .
اقطع مشاعل جديدة يا موبسوس فإنهم يأثونك بالعروس أيها
الهريس . انثر البندق فإن نجم المساء يترك (١٦٢) أويتا (١٦٣) من أجلك .
فلتبدأ معي يا زمماری تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .
لقد زوّجت من رجل كفس في حين أنك تمقتين الجميع وتكرهين
مزمماری وعزاتي ، وحاجبي الأشعث ولحيتي المرسلة وتزعمين أن الإله
لا يهتم بأمر البشر .

فلتبدأ معي يا زمماری تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .
لقد رأيتك صغيرة تقطفين التفاحات الندية مع أمك في بستاننا ، لقد
كنتُ أحرك يوم أن كنتُ أستقبل العام الثاني من عشر عمري ،
وصرتُ قادراً على لمس الأغصان الطرية من التربة . نعم رأيتك نفارت
قواي وألم بي جنون يميمت .

فلتبدأ معي يا زمماری تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .
الآن أعرف ما الحب ، ذلك الصبي الذي انجيبته فوق الصخور الصلبة
تماروس (١٦٤) أو رودوني (١٦٥) أو الجارامانتيس (١٦٦) البعيدون جداً
فما كان من عنصرنا ولا من دمنا .

فلتبدأ معي يا زمماری تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .

لقد علمَ الحبُّ العديم الرحمة الأم (١٦٧) كيف تلتطخ يديها بدماء بنينا .
لقد كنت أنت كذلك عديمة الرحمة أيتها الأم . هل كانت الأم أكثر
بعداً عن الرحمة أم كان ذلك الصبي أشد قسوة ؟ لقد كان قاسياً ، وكنت
أنت أيضاً أيتها الأم ، مجردةً عن الشفقة والحنو .

فلبداً معي يامزماري تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .
ليهرب الذئب الآن أمام الخراف ، ولتحمل أشجار البلوط الصلبة
تفاحات ذهبية ، ولتُخرج الحورية الرومسية أزهار النرجس ، ولتثمر
أشجار الإبل عنبراً ثميناً من لحائها ، ولتنازل البوم البجمات . وليصبح
تيتيروس (١٦٨) أورفيوس فيكون هناك أورفيوس في الأحرار
وأوريون (١٦٩) وسط الدلافين !

فلبداً معي يامزماري تنشد إحدى أغنيات ماينالوس .
فلتصبح جميع الأشياء محيطاً متوسطاً ، وداعاً أيتها الأحرار ! فسألقى
بنفسي من على قمة أحد الجبال الشاهقة إلى وسط الأمواج المتلاطمة .
فلتكن هذه آخر هداياتي المميّنة إليك .
كفّ يامزماري ، كفّ الآن عن أغنية ماينالوس .

هكذا قال دامون، خير نبي باعراثس يدير ياعما أجايت به ألفيسيدويوس
لأننا لا نستطيع فعل كل شيء .

ألفيسيدوبويوس

اتنى بماه و تروّجى هذه المذابح بصوف ناعم ، وأحرق أعشاباً ثمينة
وبخوراً كي أحاول عن طريق السحر أن أجعل النار تتأجج بين جوامح
حبيبي الحامده ، ولا ينقصنا هنا سوى الأغاني .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !
تستطيع الأغاني أن تهبط بالقمر من السموات ، وبواسطة الأغاني
مستخت كيركي (١٧٠) وفاق أوليسيس (١٧١) . لقد انفجر الشعبان ازطرب
وسط الرياض بأغنية .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !
هاهي ثلاثة خيوط ألصاحولك أولاً ، وهي تتميز بثلاثة ألوان مختلفة .
كما أتى أسحب تمثالك وأدور به ثلاث مرات حول هذه المذابح . فالأعداد
الفردية تسر السماء .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !
أنسجى بأماريلس ثلاثة ألوان في ثلاث عُقَد ، ، أنسجها بربك
يا أماريلس وقولى « إني أنسج قيود الحب » .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !
هل لدافنس أن يدوب حبساً فيّ كما يتصلب هذا الطين وكما يدوب
هذا الشمع بنفس النار ! ذرّبي الطعام وأشعلي أعصان الغار اللدنة
فإن دافنس القاسى يكوبنى بنيرانه . وإني أحرق غصن الغار هذا من
أجل دافنس .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !

فَلَيْبَلْبَلْ دافنس بحب كالذى تبلى به العجلة عندما تخور قواها بحثاً
عن عشيقها وسط الأحرار والمغارات البعيدة الغور ، فتكفي وتسهط
على الحلفاء الخضراء بجانب مجرى ماء ، وقد غاب عن وعيها كل شيء
فلا تفكر في العودة قبل أن يحل ساعة الليل المتأخرة . فليبتل بحب كهذا ،
ولاهمان في تبرئته منه !

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !
لقد خلف لى هذه الملابس ذات يوم ذلك الحائن لتكون رهينة
عزيرة لشخصه ، والآن إنى أكرسها لتسبى أيتها الأرض ، إنى أكرسها
لك . إن هذه الزهائن تجعل دافنس من حقي .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !
لقد انتفى لى هذه الأعشاب وهذه السموم من منطوس ، وأعطاني
إباها موريس (١٧٢) نفسه . إنها تنمو بكثرة في منطوس ، وكثيراً ما رأيت
موريس يتحول بواسطتها إلى ذهب ويختفي في الأحرار . وكثيراً ما نادى
الأرواح من أعماق القبر ونقل القمح المزروع في حقل إلى حقل آخر .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !
احملى الجذرات يا أمارياس والقى بها من فوق رأسك إلى نهره يياه
جارية دون أن تنظري إلى الخلف . سأهاجم دافنس بهذه الطرق فهو
لا يابه بالآلهة أو يعير الأغنيات التفاتاً .

أحضرن دافنس من المدينة إلى البيت ، أحضرته يا أغنياتي !
انظري ، إن الدردار ، وكنت أتباطأ في حمله ، يشتمل من تلقاء نفسه
وقد لحقت نيرانه المتأججة بالمذاح . لتكن هذه بشرى خير ! لست أعلم
حقيقة الأمر ، وها هي هيلاكس (١٧٣) تعرى عند الباب . أيمكننى أن
أصدق عينى ؟ أم هل يتخيّل المحبون أحلامهم ؟

كفى . إن دافنس يأتي من المدينة إلى البيت ، كفى الآن يا أغنياتي !

الأشودة التاسعة

ليكيدياس: إلى أين تسعى يا مويرس؟ إلى المدينة كما بقود الطريق؟
مويرس: ليكيدياس، لقد عشنا لئى اليوم — شر ما حللنا به فى
حياتنا — الذى قال فىه شخص أجنى أحشل مزرعتنا الصغيرة ، هذه
المزرعة ملكى ا ، إلكم عنى أىها المستأجرون القدماء . .

والآن حىث قد هزمننا وتملكنا ذعر مقيم ، مادام الحظ يحكم الجميع ،
فإننا نرسل إلكه هذه الجداء ، فلتذهب معها لعنتنا !

ليكيدياس: لكنتى سمعت حقيقة أن مينا لكاس أنقذ كل البلد وكل
شىء بأغانىه ، من حىث تبدأ التلال فى النهوض إلى حىث تغرب قممها فى
انحدار لطىف إلى المىاه والشواطىء القدىمة .

مويرس: سمعت ؟ إذن فقد انتشرت الرواية . ولكن أغانىنا
باليكىدياس نذصر وسط أساحة الحرب بقدر ما نذصر حمامات الخاوينىن (١٧٤) ،
كما يقولون ، عندما يأتى النسر . لذا ، إذا لم يكن قد حذرنى غراب على
يسارى كان على شجرة البىلوط الخاوية ، أن أقصر كل عراك جدىد
بقدر استطاعتى ، فما كنتُ أنا أومىنا لكاس نفسه على قىد الحىاة الآن .

ليكيدياس: واحمر تاه ، أىمكن أن يذنب أحد بجرىمة كهذه ؟
وا أسفاه ، أىمكن بامىنا لكاس أن تكون سلوى أغشىناك قد نُزِعَت منا

ومنك تقريبا ؟ من سياترهم بالحوريات؟ من سيبذر الأرض بالأعشاب
المزهرة أو يحجب الينابيع بالظل الأخضر؟ أو تلك الأغاني التي تصيدتها
منك بدهاني ذلك اليوم عند ما كنت ذاهبا إلى أماريلس العريضة ؟
« تعهد عزاقى ياتييروس ، حتى أعود فإن الطريق قصير ، وبعد أن ترعى
مسقها إلى الماء ياتييروس ، ولكن حذار أن تمر بطريق التيس وأنت
تسرقها لأنه ينطح بقرنيه . »

مويرس : بلى ، لم تفته هذه الآيات بعد ، وكذلك الآيات التي
أنفدها أقاروس . « فأروس ، ستحمل البجمات المغنيات اسمك عالياً إلى
النجوم ، إن فقط تستبقي لنا ماتوا ، ماتوا ، واحسرتاه ؛ القريبة جداً
من كريمونا التعيسة . »

إيكيداس : كما تتجنب أسرابك شجر الأشكل الكورسيكي ، وكما
تأكل العجول البرسيم وتضمن أضرعها . ابدأ لو كان عندك ما تغنيه .
وأنا كذلك قد جمعتي العذارى اليبيريات شاعراً وعندى أغنيات
أيضاً . وكذلك يسميني الرعاة شاعراً ، غير أني لا أثق بهم . لأنني أعتقد
أنني حتى الآن لا أستطيع أن أغني ما يليق بقاريوس (١٧٥) أو كنتا (١٧٦)
بل أنفق كأوزة بين جمعات مغنيات .

مويرس : ذلك ما أسمى إليه ياليكيداس ، في صمت وأنا أفكر في
الأمر ملياً ، عاني أستطيع أن أستدكرها . إنها ليست أغنية وضيعة .
« هلي إلى يا جالاتيا ! أي هو يمكن أن يكون في الأمواج هناك ؟
هنا ربيع مورد ، هنا بجانب الأنهار تنثر الأرض أزهارها المختلفة ، هنا
تميل شجرة الصنوبر البيضاء على الكهف ، وتنسج الكروم المملقة عروساً

مظلة . هلى إلى ، دعى الأمواج الصاخبة ترتطم بالشاطئ . ،
ليكداس : ما رأيك فى الآيات التى سمعتك تغنيها وحدك فى الليل
الصافى ؟ أتذكر الوزن ، لو كنت أنا أحفظ الألفاظ ؟

مويرس : ولماذا تحمق فى النجوم القديمة المشرقة يادافنس ؟ أنظرهاك
نجم قيصر ، نسل ديونى، قد تقدّم من النجم الذى يبعث الفرح إلى الحقول
بالقمح ، ويعطى للعنب لونه الأدكن فوق التلال المشمسة . ضع رماحك
فى أعقادها يادافنس فإن أحفادك سيجمعون ثمارك .

يسابنا الزمن كل شىء حتى الذاكرة ، أتذكر أنى كنت فى صباى
أقضى دائماً أيام الصيف الطويلة فى الغناء . أما الآن فقد نسيت كل أغنياى ،
حتى الصوت نفسه يعوز مويرس الآن . لقد رأت الذئب مويرس
أولا ، ولكن مينالكاس مع ذلك سيتلو عليك أغنياتك كلها أردت .

ليكداس : إنك تبعد عنى أشواقى بماذيرك . إن البحر كله هادىء
ساكن ، انظر فامن همة للنسيم تتناوح علينا ، ومن هنا يتبقى نصف رحلتنا ،
فإن قبر بيانور يظنر للابن الآن ، فلنغن هنا حيث يشذب الفلاحون أوراق
الأشجار الكشيفة . هنا تضع الجداء يامويرس — فعلى أية حال سنصل
إلى المدينة . أو إذا كنا نخشى أن يلحقنا الليل بجحافل السواد ، أو تهطل
علينا الأمطار ، فيمكننا أن نغنى ونحن نسير فى الطريق — فهذا يجعل الطريق
أقل مشقةً ، فإن سرنا وأنشدنا فى طريقنا سألنا عنك هذا الحمل .

مويرس : لا تقل ما هو زيادة على ذلك أيها الصبي ، دعنا الآن فى
العمل الذى بين أيدينا . سننشد أغنياً تناً أحسن من ذلك عندما يأتى السيد نفسه .

الأشودة العاشرة

هذا هو عملي الأخير يا أريثوسا (١٧٧) ، فامنحيني إياه ايجب على أن
أشدد بعض الأغاني لجالوس من النوع الذي تستطيع ليكوريس نفسها أن
تقرأه أمن ذا الذي يضن علي جالوس بأغنيته؟ فلتبدأ إذا كانت دوريس
المالحة لا تخلط مجراها معك عندما تنزلق تحت الأمواج الصقلية . فلاترتم
بغراميات جالوس القلقة بينما ترعى الغزوات ذات الأنوف العريضة ،
الأعشاب الطرية . اسننا نغني لآذان صماء ، فالغابات تردّد صدى
كل نغمة .

أى الأحرار وأى السبل كمن تنسكن أيتها النياذ العذارى عندما كان
جالوس يندوى بحب حقير؟ لم تمنعك قمم پارناسوس أو بندوس ،
أو حتى أجايبى الأونية لقد بكته أشجار الغار وكدا أشجار الإبل .
وقد بكى من أجله مينالوس المتوج بأعصان الصنوبر وهو مستلق تحت صخرة
منعزلة ، وكذلك صخور إيكورس الجليدية . إن الأغنام أيضا تحيط بالمسكن
ولا نخجل منا ، كما لا نخجل من القطيع ، أيها الشاعر المقدس . فقد كان
أدونيس الجميل يرعى الأغنام بجانب الأنهار .

لو أتى الراعي وكذلك قطعان الخنازير ببطء . وجاء مينالكاس
يرشح ماءً من ثمار البلوط الشتوية . فيسأله الجميع « من أين جاء حبيبك هذا؟ »

لقد جاء أبولو ، فقال ، أى جنون هذا يا جالوس ؟ ، إن معشوقتك ليكوريس تسمى وراء آخر بين الثلوج والمعسكرات الموحشة ، . ها قد جاء سافانوس يتوج جبينه المجد الربى ، وهو يلوح بأزهار الشمار وأزهار الزنبق الطويلة . لقد أتى بان رب ، أركاديا ، ورأيناه بعيون رؤوسنا محمراً بالزنجفر والتوت الأحمر وكان يصيح قائلاً ، أن تكون هناك نهاية ؟ إن الحب لا يتم بشيء من هذا ، فلا يكتفى الحب القاسى بالدموع ، ولا الحشيش بالجدول ، ولا النحل بالبرسيم ولا العزات بأوراق الأشجار . .

بيد أن جالوس أجاب فى حسرة وأسى ، ومع ذلك فإنكم معشر الأركاديين ستشددون هذه الأسطورة لجبالكم ، إن الأركاديين وحدهم هم الذين يعرفون كيف ينشدون آة على الراحة التى تحظى بها عظامى ، لو كانت من أميركم يوماً ما تروى أقاصيص حبي ! ليتنى كنت أحدكم ، أرعى أحد قطعانكم ، . أو أشذب عرايين العنب الناضجة ! حقا ، لو أن محبوبتى هى فيلس أو أميناس ، أو أى فرد آخر — وماذا يضير لو كانت أميناس سوداء ؟ فالترجس نفسه كذلك أسود ، وكذا العيسران — لرفدت محبوبتى بجاني وسط الصفصاف تحت السكرمة الزاحفة ، تنقى لى فيلس الأكاليل ، وتندد أميناس الأغانى . هنا توجد ينابيع باردة باليكوريس ، هنا مروج منبسطة ، هنا أحراش ، هنا بصهجتك لا يغتبق سوى الزمن ، ولكن حباً جنونياً مارس انظفب يجذبنى الآن تحت السلاح وهال الآلات الحربية والأعداء الأبناء ، فى حين أنك وأنت بعيدة عنى وفلك . ليتنى سأأخذك أسعد مثل هذا الزواجة .

تتطلعين أيتها القاسية إلى ثلوج الألب وصقيع الريح ، نائية عني ،
بمفردك . ألايت الثلوج لا تضركِ ، ألايت الجليد الحشن لا يؤذي
قدميك الرقيتين !

سأرحل ، وسوف أعزف الأغاني التي وضعتها في نظم خالكيدى ،
على مزارم راع صقلي . إنى أعلم يقيناً أنه في الأحراش وسط أوكار
الحيوانات المفترسة ، يستحسن أن أعاني جبي وأبوح به على الأشجار
الصغيرة ، فسوف تنمو هذه الشجيرات وكذلك أنت يا حبيبتي ، وفي
الوقت عينه سأجوس مع الحوريات خلال مينالوس أو أصيد الخنازير
البرية . وإن يقعدنى صقيع عن محاصرة عمرات پارثينوس بكلافي .
فلغاية الآن يخيل إلى أنى أمر فوق الصخور والمغارات المدوية ، وإنه
ليمرنى أن أصير ساهماً كيدونية من قوسى البارثية كأنما هذا العمل
يشفى غابيلى ، أو كأنما ذلك الرب يستطيع أن يتعلم الرأفة بأحزان البشر !

الآن إنى ، أدر يادس لا تسرفى ولاحتى الأغنيات ، وداعاً مرة ثانية .
حتى أنتِ أيتها الأحراش ! فليس لعمل من أعمالنا أن تفسر ذلك الإله ،
حتى ولو شربنا الهپروس في قلب الشتاء ، وتحمَّسنا الثلوج التراقية وأمطارها
الشموية ، حتى ولو سقنا الخراف الأثيوبية هنا وهناك تحت النجم
كانسك ، عند ما يموت اللحاء وبذبل فوق شجرة الدرदार العالية ! إن
الحب يقهر كل شىء . ، فلترضعن نحن أيضاً للحب ! ،

ستكفى هذه الأغنيات يا ربات الفن المقدسات ، تلك التى أنشدتها
شاعركم وهو جالس متكاسل ينسج ققصا من الخظمية الرفيعة . لا شك

بني أنسكن ستجعلان لنا قيمة عظيمة في نظر جالوس — جالوس هذا الذي
ينمو حي له ساعة بعد أخرى بالسرعة التي تنمو بها الحورية الخضراء في
بحر الربيع فلنتهمض إذ أن الظلال دائماً تجلب الأخطار للبعثين . إن ظل
العرعر يجلب الأخطار . كما أن الظل يؤدي القمح أيضاً هيباً إلى البيت
يا عنزاتي الممتائة بالطعام — لقد أتى نجم المساء الذي يؤذن بالمبيت ! .

